فضاء المعرفة

تأليف
عبدِ الله بن سليمان العتيّق

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{] إهداءٌ [}

فقط ، إلى الذين لم يبتغوا غير الفضاء أرضاً لعقولهم ، و محلاً لأفكارهم .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{[مدخلٌ]}

المعرفةُ غايـةٌ يَطمحُ إليهـا كـلُّ مخلـوقٍ بحسـب مـا هـو مغـروزٌ فيـه مـن معناهـا عنـده ، و بحسْبِ إمكانيـات تحصيله لهـا ، مختلـفٌ جداً بـين مخلـوقٍ و آخـرَ ، فللإنسـانِ معناها عنده و طرائق تحصيلها ، و لغيرِهِ من العجماواتِ و الطيورِ كذلك ، فلا يَقِفُ مخلوقٌ عندَ حدِّ الحالِ الذي كان عليه أولَ ظهوره على الأرضِ ، و لا يقفُ إلا عند فقد الروحِ و موته .

تلك المعرفة متختلفةٌ أيضاً بين كلِّ نوعٍ مـن الخلْقِ ، و بينهمـا تفـاوتٌ في مهـاراتِ تحصـيلها و اكتسـابها ، أشـياءُ كتبهـا الله الخـالقُ و قسَّمها علـى خلقـه ، كـذلك متفاوتةٌ تفاوتاً كبيراً بين البشرِ أنفسهم ، من حيثُ السعةِ ، و المفهومِ ، و التوظيفِ .

للمعرفةِ أُفقٌ ، يكون واسعاً عند بعضٍ ، و يكون ضيقاً عند آخرين ، و ضيقُه الفضاءِ المعرفيِ و سَعته راجع إلى حقيقة المعنى المغروسِ في الذهن للمعرفة و رسالتها .

إنَّ فضاء المعرفةِ شَبيهٌ بفضاءِ الكونِ ، لأن المعارفَ نُظُمٌ كونيـةٌ نشـرها الـربُّ تعـالى بين أمـم البشـرِ، فلا اختصـاصَ فيهـا إلا في جزئيـاتٍ منهـا ، و إلا فقـانونُ المعـارفِ واحـدٌ ، كلُّ أمة تأخذ عن سابقتها ، و تبني معرفتها على معارفِ الأمم الماضية ، بناءً فكرياً معرفيـاً ثقافيـاً ، و شـرطُ الفضـاءِ المعـرفيِ هـو في صِفته الكونيـة ، حيـثُ قاسـم التشابه المشترك بينهما .

فأولُ وصفٍ : أن يكون شاملاً ، فالمعرفةُ المحصورةُ مجبورةٌ ، و المجبورُ لا فكاكَ لـه ، و لا حكمَ لمكبَّلٍ بقيدٍ فكري معرفيٍ وهمي .

و ثاني وصفٍ : أن يكون متكاملاً ، و الاكتمالُ في الشموليةِ و الابتناءِ على الأسسِ السالفة .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و ثالث وصفٍ : أن يكون رَحباً واسعاً ، و المعرفةُ الضيقةُ ترفضها العقولُ و الأديان ، و لا تسري إلا على منقوصِ أحدهما .

مِن ثمَّ كان " فضاءُ المعرفةِ " كَشفاً وجيزاً عن تلك المعرفةِ ، بتلك الأوصافِ ، حسبَ مِنَّةِ الحالِ، و نفورِ الإخلالِ ، لأنَّ الإنسانَ في حياته عالمٌ كونيٌّ صغيرٌ ، انطوى فيه العالَم الأكبرُ ، و لا يُمكن للمرءِ أن يعيشَ في حياته ما لم تكن نفسُه مؤمنةً بأنَّ :

ËËË ÌÌ ËËË

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ الحياة كلمة }

لأنه خليفةٌ للخالقِ في الأرضِ ليعمُرَها بما هو محبوٌّ به من الله تعالى من قُدراتٍ و إمكانيات ، فليسَ وجوده في الحياةِ وجوداً خالياً من معنى ، سواءً معنى دينياً أو حضارياً أو عمرانياً أو صناعيا ، كلُّ أنواع العمارة الأرضية مطالبٌ بها ، و أصلُ الشيءِ كلمةٌ مُحصَّلة من مكتوبٍ أو مسموعٍ ، يرتقي بها مدارج العمارة الكونية .

إن إيمان الإنسان بأن حياته كلمة ، لفظية (كلام) أو شكلية (رسم) ، يجعله يسعى الحثيثَ ليقوم بذلك ، و يأتي بما يخدُمه في تحقيق معنى الكلمة ، و كون الحياةِ كلمة لا يُوقفُ فيها على لفظٍ دون مراعاة لمعانٍ خفيةٍ ، تُكشَفُ للناظرِ بدقةٍ و فطنة ، فـ / الحياةُ كلمة ، تعني أن الثقافة هي سِر الحياة ، و المعرفة جوهر الحياة ، فليس الشأن مبتدأ و خبرُه ، و إنما شيءٌ و جوهرُه .

الحياةُ كلمةٌ و رسالةٌ لا قيمة للإنسان بدونها ، و إن أُجريَ عليه من خيراتِ الدنيا كلها ، ما لم تكن الحياةُ عندهُ كلمةُ الجوهرية ، و كلمةُ المعنى ، و كلمة القيمة ، و كلمةُ ما يُسْتَحَقُّ أن يكونَ هو فيها بالمعنى الذي قصده الخالقُ بأبعاده و معانيه .

هذا الإيمان بكون الحياة رسالة و كلمة يُحرِّك في الإنسانِ بواعثَ التنقيبِ في أسرار الكونِ ، ليُحصِّلَ :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ التنمية البشرية و التطوير الذاتي }

ففي نفسِه أسرارٌ كثيرةٌ مدفونة ، في باطنِ عقلِه و روحه و جسده ، و في الكون أسرارُ الاستلهام لتلك التنمية ، و هي القوانين الكونية ، و السنن المستمرة على مرِّ زمان البشرِ .

و التنمية البشرية تكون انطلاقتها أولَ الحالِ من الذاتِ ، فلا وصولَ للعالَم الأكبرِ إلا من خلالِ العالَمِ الأصغر ، و بقدر درايةِ الإنسان و سبرِهِ أغوارَ العالَم الأصغر يكون دخوله للعالَم الأكبر ، فيُسعى في تنمية الذاتِ من خلالِ أصولٍ كُبرى هُنَّ أساسُ بناءِ الذاتِ :

الأصل الأول : الإيمان بقدرات الذات ، فالذات ميزها الله بشيءٍ كثيرٍ كبيرٍ ، تستطيع به أن تنهضَ بالعمارةِ الأرضية ، و تُؤهلها لذلك ، و لو لم تكن كذلك لما كان لخلقِ البشرِ فائدة و لا قيمة لوجودهم ، و ما كان جعلهم خلفاءَ الرَّبِّ تعالى إلا لكونهم كذلك ، فالإيمان بقدرةِ الذاتِ سبيلٌ لمعرفة قدرةِ الربِّ ، و الإيمان بهما جميعاً تقوم به حضارات .

و بتمام هذا الأصلِ ينبعثُ في الإنسانُ عُنصرُ :

الأصل الثاني: البحثُ في تلك القُدراتِ لإيقاظ راقدها ، و تقوية ضعيفها، و إمداد مُحتاجها ، حتى تكون على أُهبة الاستعداد للقيامِ بالمطلوب ، و لزوم وظائفِ الوقتِ أداءً، فلا قضاءَ لفائتٍ في النظام الكوني ، و المعارفُ كونياتٌ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في إيجاد تلك القدرات و معرفتها بعد البحثِ عنها المبعوثِ بالإيمان بها في النفسِ يبين للإنسانِ :

الأصل الثالث : التوظيف لتلك القدرات ، و التوظيفُ جعلُ الشيءِ في محلِّه المناسبِ زماناً و مكانا و حالاً ، و في اختلالِ ذلك مندوحةٌ عن الصوابِ في البناءِ إلى الخطأ ، و من الاستقامة إلى الاعوجاج ، و متى اعوجَّ الطريقُ اعوجَّ المسيرُ .

حتما سيكون التوظيفُ الصحيح لعطاءِ تلك القُدراتِ التنموية الذاتية سليماً من كلِّ شائبة ، لأن من القواعد المعرفية : صحةُ البناءِ يلزمُ منها صحة العطاء ، و الثمرةُ من شجرتها غالباً .

التنمية الذاتية مُربَّعةُ الأساسِ ، فهي تقوم على أساساتٍ أربعة ، هي سِر الجوهر الإنساني :

الأول : العقلُ ، و هو الركن الأساسُ للفكرِ البشري ، و عليه قِيامُ قانون المعرفة و التدبير ، كما أن القلبَ أساسُ الجسدِ و حركته ، و العقلُ محلُّ التنميةِ الثقافية ، و مصدرُ العطاءِ ، و عطاؤه قائمٌ على نقلٍ لمحصولٍ معرفيٍ ، و على خلْقِ جديدٍ معرفيٍ ، و لا يكون إلا على مسلك التجارب ، أصلاً ، و منها تكون القوانين و القواعد المعرفية ، بغضِّ النظرِ عما جاءَ من السمعياتِ الدينية فتلك شيءٌ آخر .

في رعايةِ العقلِ بالمعرفة تحصيلاً و تأصيلاً ، من حيثُ النقلُ و الأخذُ ، يكون عطاءُ العقلِ شاملاً ذاتَه و الأساساتِ الأخرى ، لأنها لا تقوم وظائفها إلا على المعارفِ ، و المعارفُ يُدركها و يُرسلها العقلُ .

الثاني : الروح ، كُوِّنَ الإنسانُ من جسد و روح ، و روحُ الإنسانِ هي مُحرِّكٌ مختفٍ لا يبدُ منه شيءٌ ، و في صحة تنمية الروحِ و بنائها صحةٌ للإنسانِ كلِّه ، و صلاح تنميتها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و بنائها على لزومِ مُعطياتِ المعتقداتِ و المذاهبِ الدينية ، لارتباط الروحِ ، غالباً ، بالسر الديني ، و الأسرار الدينية تختلفُ في الأديان السماوية و الأرضية ، الصحيحة و الباطلة ، و أساسها على اعتقادِ القلبِ بيقينِ الصحةِ و النفعِ ، و الكلام في الروح و أسرارها طويل مُتشَعِّبٌ .

الثالث : العاطفة ، غريزة بشرية لا حيدةَ عنها و لا انصراف ، و لا يخلو منها جسد ، و دعوى فُقدانها كاذبة ، و الدعوى بذاتها عاطفة .

العاطفةُ ميلُ النفسِ البشرية لشيءٍ ما ، دون مراعاة لعقل و لا لدينٍ ، لأنها حظها، و لازمُها أن تنالَه ، و لا يجري عليها تصرُّفُ الإنسان ، و هي قسمان :

الأول : عاطفة التئام و وصْلٍ ، في مَيْل الإنسان للآخر ، ميلَ حبٍّ و حنان و شعورٍ .

الثاني : عاطفة انتقام و فَصلٍ ، في الميلِ العُدواني الشيطاني ، في الكره و البغض و الحقيد و الحسد ، المفضيات إلى الإتلافِ الكلّي أو الجزئي .

الرابع : الجسد ، و هو الدار الحاوي للأساسات الثلاثة ، و الحفاظُ عليه لازمٌ ، و تنميته من الضرورة بمكان كبيرٍ ، و تنمية الجسد تكون ببناءٍ غذائي و حَرَكيٍّ ، و اعتناءٍ وظيفيٍ و صِحي ، و الخللُ التنموي للجسدِ لا يعدو هذين ، و عودُ كلِّ فتورٍ و كسلٍ إلى غلطٍ في البناء و الاعتناءِ .

هذه الأساسات الأربعة هي التي يُعتبَرُ بها الإنسان إنسانا ، و بدونها مجردُ مخلوقٍ امتازَ عن غيرِه بشكلٍ ، فإنسانيةُ البشرِ معنوية ، و الجسدُ مظهرٌ لها .

إذن ، فقد كوَّن اللهُ الإنسانَ من : روحٍ و عاطفةٍ و جسدٍ ، و جعلَه على مفرَقِ طريقَيْ الخيرِ و الشرِّ و الحسَنِ و القبيح و المحمودِ و المذمومِ ، فمنحه العقلَ ليكون دالاًّ مُرشِداً ، و لا صِحةَ لكلٍّ إلا بما يَصِحُّ في العقلِ و إليهِ و منه ، و كلٌّ من هذه الأساساتِ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يعود على الكلِّ بمعونة و إقامةٍ ، و من هنا يكون المثلُ المنقول " العقلُ السليمُ في الجسد السليم " .

التنمية الذاتية ليست محصورة في فردية الإنسانِ كواحدٍ ، و إنما هيَ تشملُ الإنسانَ كجنسٍ بشري ، فالتنميةُ الفردية الشخصية أساسٌ للتنمية الجمْعية العامة ، فهو انطلاقٌ من فردٍ إلى جمعٍ ، و من صغيرٍ إلى كبير ، و الأنانية التنموية ضياعٌ للهوية البشرية .

لأجلِ ذا كان الاعتناءُ بتنميةِ الفرْدِ لا يستقيم صحةً واعتدالاً إلا بجَرِّ العنايةِ على الحولِ عنده ، فالإنسانُ مدنيٌّ بطبعه ، و هو ابن أرضِهِ ، و جزءٌ من كلٍّ ، و لا قيام للجزءِ إلا بعَونِ الكلِّ ، فكان الشأنُ تنميةُ مهاراتِ التواصُلِ مع الغيرِ ليتمَّ بناءً مرصوصاً ، و يكون الكلُّ جمعاً في فرْدٍ ، و أجسادٌ في جسدٍ .

لا تقوم التنمية البشرية إلا على أرضٍ تُؤوي إليها الإنسانَ ، كمحضنٍ يجدُ حنان الانتماءِ، و مأمَنٍ يُدركُ طمأنينة البقاءِ ، فكانت تنميةُ العمرانِ ، و تنميةُ الحضارةِ ، و لا يُمكنُ ذلك إلا بإطلاقِ قُوةٍ :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ الإبداع }

الإبداعُ إنتاجُ العقلِ البشري لمجهولٍ إلى أرضٍ الواقعِ معلوماً مشهوداً ، بارتكازٍ على معرفةٍ و تجربة ، ببعثِ الضرورة و الحاجة .

فالإنسانُ منجمُ إبداعٍ ، و كهفُ خفايا ، و إن استجهلَ و استغبى ، فالشواهد الكونية ضده، و الشهود ليسوا معه ، كلُّ إنجاز الإنسان إبداع و إن قلَّ أو صغُرَ، و عيبُ الإبداعِ استجهاله و إخفاؤه.

في حياة الإنسانِ اليومية ما يُلزمه إلى أن يكون متجدداً ، فله في كلِّ إشراقةِ شمسٍ إشراقةُ بناءٍ ، و مع غروبها غروبُ حرارتها ، ليُقبل عليه الليلُ بهدوءٍ و خفاءٍ ، ليدخل العقلُ في كهفٍ و خلوة التأملِ ليُشرِق للكونِ بإبداعٍ جديد ، و الإبداعُ باقٍ على طول الزمان مذكوراً و لو كان شيئاً حقيرا ، فحقير اليوم شريف الغد .

تلك الأحوال اليومية تبعث في نفس الإنسان تكوينة جديدة تواكبُ وقتها ، و لا تواكبُ ماضيه، و إن واكبتْ مع الحاضرِ المسقبل فقمة الإبداع .

كذلك تبعث الأرض فيه همة الإبداعِ لينطلقَ في تكوين محتوٍ يحتويه ، و مأوى يأوي إليه ، و ما يُساندُه في تحقيق مقاصد حياته ، و الإبداعُ ليس مقصوراً على محسوساتٍ و آلياتٍ يدركها الإنسان بحواسه ، بل هي أيضا إبداعاتٌ في الفكرِ و المعرفة، فالحضاراتُ حِسٌّ و معنى .

ليس كلَّ شيءٍ يكون إبداعاً ، و إنما ما كان مفيداً في العمارةِ الفكرية أو العمرانية هو الإبداع المنشود ، و كمال الإبداع في الانطلاقة من حيث الانتهاء ، و البدءُ في الحاضر من عتبة الماضي سخافةُ عقلٍ ، و نكسة فهم .

الإنسان المُقَيَّدُ لا يكون مُبدعاً ، و لو توافرت لديه كلُّ إمكانيات الإبداع ، لأن الإبداع لا يكون في خروجٍ عن المألوفِ ، و المُتألِّفُ حالاً لا يخرج عنها لا يكون مبدعاً

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حقيقةً و لو صُوِّرَ مُبدعاً في أعين الناس ، فإنَّ الحقائقَ لا تُغيرها المسمياتُ ، و الكونياتُ حقائقُ .

فحتى يكون الإبداعُ لا بُدَّ من إطلاقِ العقلِ في المعارفِ ليُلِمَّ شملها في تكوينة غريبةَ الحالِ تقوم بحضارة تجديدية ، سالكاً قانون الإبداعِ ، فلا يخرجُ عن مفيدٍ إلى مُضِرٍّ ، و لا عن تجديدٍ إلى تَكرارٍ ، و لا عن شمول إلى حصْرٍ ، و لا عن سعةٍ إلى ضِيْقٍ ، و متى نزعَ عن تلك خروجاً و فراراً إلى مقابلاتها كان الإبداع وصفا نائياً بعيداً .

الإبداعُ البشري يخدم كلَّ حضارةٍ ينتمي إليها الإنسان ، و فضاءُ المعارفِ يبني الجنسَ البشري ، لذا كان محلَّ الاعتناءِ التوظيفي للإبداعِ و المعارفِ في شتَّى الحضاراتِ الخادمةِ للذاتِ البشرية ، و المُسعفةِ في الشدائد بما يقيمُ حالها على خيرِ حالٍ ، و حيثُ الاهتمامِ بأرضِ الجسدِ و مأمنه يكون كذلك الاهتمامُ بالإبداعِ في مأمَنِ الروحِ و الجسد كلِّه ، و ذلك من حيثُ رعايةُ حالِ :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ الشرع }

حيثُ الأديانُ عاصمةٌ من قواصم الميلِ النفسي نحو الضررِ المُوسوَسِ من الأجناس الفاسدة ، بشتى أنواعها إنساً و شيطانا ، و الشرائعُ السماويةُ كانت على أصلٍ واحد و مقصدٍ واحدٍ ، و هو حفظ مسلك الإنسان الدنيوي بالتوجيه الديني لضمان الحقِّ الأُخْرَوي ، و إن اختلفتْ توظيفاتُ هذا المقصد فالأصلُ واحدٌ ، حتى في الأديانِ غيرِ السماويةُ يُرادُ ذلك ، و لكنَّ عِلة الخللِ في الجهلِ ، و التعويلُ على النوايا لا على المطايا .

إن نعتَ الأنبياءِ الشرائعَ بأنها سمحةٌ يَعني أنها ذاتُ سَعةٍ و لينٍ و شمولٍ و لطافةٍ و أصالة و رسوخٍ، لأن السماحةَ تحملُ ذلك ، و أصلُ المللِ واحدٌ ، فحيثُ كانت السماحةُ في الأصلِ فالفرعُ تبعٌ ، و ما شذَّ فرعٌ عن أصلٍ إلا أذِنَ بفصلٍ ، و لا فضلَ لمفصولٍ عن أصله .

الشرائعُ نظامٌ يصون الإنسانَ من مبدأ السيادة الربانية ، على أصولٍ سليمة البناءِ ، مُجدية العطاءِ، لهذا تنوَّعَتْ فنون علوم الشرائعِ لخدمة هذا الأصل ، و ليس هنا محلُّ سرْدِ ذلك ، و إنما إشارةٌ إلى مُشارٍ معلومٍ في قانون الشريعة و نظام الأديان .

و حين يكون الشرعُ موصوفاً بأنه ليس سَمحاً حالاً واقعاً بسبب تصرفاتِ أهله فإنه لا يكون متناسباً في زمانٍ و مكانٍ و حالٍ ، و لا يقول بهذا إلا مَن ضاقُ فهمه لسر الشرائع ، فالشرائعُ فضاءٌ ديني ، شاملٌ ، واسعٌ ، سمحٌ ، مُضيءٌ ، في توظيفِ الفرعياتِ فيها ، مع بقاءِ الأصلِ الذي جاءت لتأسيسه ، و الأصلُ واحدٌ شرعاً متعددٌ كوناً و قدراً ، و هنا مكمنُ سِرِّ " الأنبياءُ أبناءُ علاتٍ ، أبوهم واحد و أمهاتهم شتى " .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و كل علمٍ و فنٍّ خدمَ الأصلَ و المقصد فهو في حكمِ المُجَوَّزِ شريعةً ، و المعتبرِ عقلاً ، يُدرك ذلك أولوا ألبابٍ ناضجة .

حين نعي سر ذلك المقصد الشرعي و الكوني من الأديانِ نكون ممنوحينَ مجالاً لأقامةِ بناءٍ :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ التواصل }

فالإنسان مدنيٌّ ، يعشَقُ العِشرة ، و يأوي لبني جنسه ، و المعارفُ أقامت لذلك قانوناً ، و الشرائعُ دعمَتْ هذا أساساً ، و المنعزلُ عن الناسِ لغيرِ علة باعثةٍ فلعلةٍ ناهضة بنقصٍ في عقلِهِ ، و خللٍ في فهمه .

التواصلُ بين الناسِ سِرُ بناءِ الحضارات ، وأساسُ نقلِ المعارفِ ، و مكمنُ حفظ الشرائع ، فلولا التواصلُ لما علمنا عمن سبقَ شيئاً ، و لما أدركنا شرعاً محفوظا ، و لما عرفنا معارفَ مبثوثة .

إتقان التواصُلِ بين الناسِ يقومُ على :

أولاً : مُراعاة النوعِ ، فالناسُ ليسوا سواءً نوعاً ، فمنهم العالم العارف ، و منهم من لا يدري شيئاً ، و منهم من يُدرك نزراً يسيرا .

ثانياً : ملاحظةُ قُدراتِ الإدراك و الاستيعاب ، و تُدرك من إدراك النوع .

ثالثاً : نقلُ الشيءِ إلى أهله ، حيثُ مناسبةُ التلقّي .

عملية التواصل ذوقية ، و إن كان للنظام المعرفي دوراً فيها ، فإنها تفتقر إلى اختلافات أنواع الناسِ من حيثُ الإدراكُ و التفكيرُ ، و حين تُراعى هذه في التواصلِ يكون كبيراً بناؤه متيناً إنشاؤه .

من الذوق في التواصل معرفة أحوال الحديثِ، استماعاً، و نقاشاً، و عرضاً ، و نقضاً، لغلبة هذه على مجالس التواصل ، و سرُّ مهارة التواصلِ حُسن الإنصاتِ للطرفِ الآخر ، ففي الإنصاتِ إدراكٌ للغايات المقصودة في التواصل ، و مِن ثَمَّ تكون عملية التواصل المعرفي و الفكري ، و لا تواصلَ في الفكر و المعرفة إلا بتواصل في الذات و النفس .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و ما كان ضياع كثير من المعارف و الثقافات ، و الانتكاسة في فهمها إلا عندما ضاعَ هذا الذوق في التواصل بين أهلها ، و إن حُوْفِظ عليها و رُوْعِيَ جانبها آتَتْ عطاءً لا ينقطع .

و حين يكون التواصل المعرفي قائماً على تلك الذوقيات الأدبية النواصلية ، و التي منبعها سَعة المعرفة ، و شمولها ، يرتقي الحالُ إلى أن يكون تواصُلاً لقائياً لأصحاب الفكرِ و المعارفِ ، استضافةً و دعوةً لذاتِ شيءٍ معيَّنٍ ، أو لشيءٍ مُنوَّعٍ ، شرطَ دورانه حولَ البناءِ المعرفي و الإيصال الثقافي على قانون الصحةِ العلمية و المعرفية ، و لا تكون في عالم المعارف إلا لمن أدركَ قدراً كبيراً من تخصصِ معرفته ، و أما الضرب بالحظِّ في المعارفِ فعبثٌ هادم .

في ظل ذلك التواصل المعرفي ، و التبادل الثقافي ، في كلِّ حضارة ، و بين كل الحضاراتِ يكون إثراءُ :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ المكتبة }

فهي خزانة ثقافات الدنيا ، و صندوقُ معارف الحضارات ، و لم تكنْ متواجدة و لا متنامية إلا حين كانت عملياتُ التواصل المعرفي ، تواصلاً في العرضِ ، و تواصلاً في النقضِ ، تواصلاً في البناء ، و تواصلا في العطاء .

الكتابُ لسانُ ناطقٌ بصمتِهِ ، و مخزَنٌ مأمونٌ ، لذا كان التعويلُ عليه أصالةً ، لجوهريته و أصالته ، و ما كان على وظيفته تبعٌ له .

الحضاراتُ الثقافية لا تقف على ورقٍ ، و لا تعتمد على أرضٍ ، و إنما تقوم على عقلٍ يحفظ، و ذهنٍ يَعي ، و ذكاءٍ يصنع ، فكانت المعارفُ في وصفها الفضائي متقدمةً في تطوير المكتبة ، لتثريها شكلاً و نوعاً و صورةً كما تثريها مضموناً و كيفاً ، فكانت تلك المعارفُ باحثةً عن مغارفَ تحملها إلى قُدور الدنيا لتملأها ، متناسبةً مع الأحوال الحاضرة ، متطلعةً إلى المستقبل القادم ، قائمة بالتبجيل للماضي الباني .

لم تعد المكتبةُ كتاباً فقط ، و إنما أصبحتْ مسموعةً بصوتٍ ، و مرئيةً به و بصورةٍ، و مُدركةً باللمسِ لفاقد البصر ، مما يُعطينا أن المعارفَ لا تقف على نوعٍ و جنسٍ دون آخر ، بل هي لمن تلقَّفها، و تولاها ، و هي مناخٌ لكلِّ سبَّاقٍ فـ " مِنى مناخُ مَنْ سَبَقَ " .

غير أن المكتبةَ إذا حوَتْ شيئاً ليس ذا إبداعٍ في مواكبة الحضارات فإنه لا يتجاوز أن يكون نسخةً مكرورة ، و المكرورُ مكرورٌ ، و النَّسْخُ مقابل الأصل مسخٌ .

لأجل هذا فإن جوهرية المكتبة أن تكون في الإثراء الكيفي ، و المقصدي ، و الحقيقي ، لا في الكمِّ ، و المشهدِ ، و الصورةِ ، لأن المعارفَ تتعاملُ مع خُدامها كما هي لا كما هم ، فلم يبقَ من مُبقياتِ المعارف و الثقافات و العلومِ إلا ماكان أصلاً و جوهراً، و الزبد يذهبُ جفاءً .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

توظيف دور المكتبة في خدمةِ ما مضى مهمٌ جداً ، على قانون المكتبة المعرفية و القائم على الأصول الثلاثة :

الأول : أن يكون كيفاً ، فلا اعتبارَ في الكمِّ مع تغييبِ الكيفِ ، فوجيزُ القول الكيفي يُغني عن الكثير الكَمِّي .

الثاني : أن يكون مقصدياً، و المقاصد في غايات المعارفِ ، و هي عمارة الإنسان و الأرضِ، تحقيقا للاستخلافِ الإلهي للبشر ، و المشهديُّ رمز إشارةٍ ، و الرموزُ لا تدوم .

الثالث : أن يكون حقيقةً ، و الحقيقة إبداعٌ خادمٌ للمعرفة ، و الصورةُ نُسخةٌ منقولة ، و لا محلَّ لصورة مع حقيقة .

حين نَعي سِر وجود المكتبة المعرفية نُدرك تماماً أننا نقوم بـ :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ التدوين }

لكلِّ تجاربِ الحياة ، و عبر التاريخ المعرفي ، حيثُ يكون تدوين ذلك سِجلاً باقياً لرؤى مختلفة، و نقاشاتٍ قائمة ، إثراءً للمعرفةِ بقوةٍ على أصولها ، ليكون هناك أُفُقٌ لِمن يأتي من أجيالٍ يأخذون وميضَ المعرفة الجديدةَ ليبتني عليه شيءٌ جديد ، فكلُّ ثقافةٍ تبتني على سابقة ، و حين أفول نجم الحاضرة يبقى منها وميضٌ يُدرَك لتقوم على أساسه ثقافة أخرى ، و لا يكون هذا إلا بتدوينٍ لأسرار تلك الثقافاتِ ، مما يكون منثوراً ، أو مضنوناً محجوباً عن غير أهل المعرفة و الفنِّ ، أو حتى عنهم، حين لا يكون هناك أهلٌ لنقلٍ ، فيُبعَثُ في العقولِ مَن يُدرك خفايا الزوايا .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ [مخرجٌ] }

جولة سريعة في فضاء المعرفة استبانت منه مقاصدها ، و بانت مواردها ، و
قامت حقائقها ، و لاحت بوارقها ، يُدرك منها شيئ يسير ، و ضئيل ، لكنه سيفتح لعقول التفكير و الإبداعِ أُفُقاً ، فنحن في زمن عولمة ، و العولمة لا تعرفُ إلا المعارفَ و العلوم ، و قيمةُ علوم و معارفِ العلوم في شموليتها و قوتها ، فمن لم يملك شيئا بهذه الأوصاف لمعرفته و ثقافته فليلزم بيته ، فليس في العولمة إلا قوة المواكبة لحضارة الثقافات ، مع حِفْظِ أصلِ القِيَمِ و ما عليه قيام المُدانِ بهِ ، و معاكس التيار معتوه ، و لزوم وظيفة الوقتِ عين العقلِ .

ËËËììËËË

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com